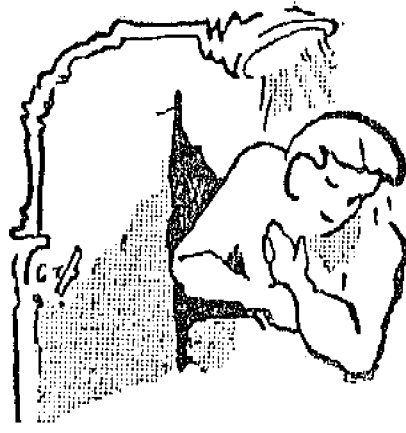




وخرج خال علام من الحمام وهو يصرخ
ويتأوه .. ويسأل علام : لم لم يخبره أن
الاستحمام عندم جناية . واندesh علام ،
ووقف يستمع لما حدث .

خال علام ..

المؤلف
تحت الطبع

الشيخ زعرب وآخرون
تمثيلات قصيرة
آثار في الرمال
نفحة من الإيمان
أساطير الأولين
السقامات
موته لله
بين الأطلال

تطلب كتب المؤلف من :

مكتبة النهضة المصرية ، ودار الفكر العربي ، والخانجي بالقاهرة .

المثني ببغداد .

المعارف ببيروت .

الواقعة في ميس السوارى منذ ما يقرب من
عشر سنين ، ولست أدري أى شيطان ضاحك
يدفع بها الآن في رأسى وأنا أجلس للكتابة فيرغمنى
على أن أسطرها وأنشرها لتتخذ مكانها بين ما تعودت
أن أكتب من أقاصيص . ويبدو لى أن من الخير — قبل
أن أروى الواقعة — أن أعطى للقارئ فكرة عن حياتنا
وقتذاك . . . فأرسم له ما يسمونه « الباك جراوند » التى
ستتخذ الواقعة محلها فيه .

كنائز عزاب نقطن الميس . والميس — لمن لا يعلم —
هو سكن الضباط الذين يعيشون في الشكنات . وكان ميس
السوارى مكوناً من ست حجرات ، يسكنها دائماً أحدث
سنة ضباط ، وهو مكون من طابق واحد على شكل مستطيل
ناقص أحد الأضلاع . . يشغل الجناح الأيمن منه حجرات
السكن . . والجناح الأيسر يشغله صالون الجلوس وحجرة
الأكل . ويقوم وراءه بناء منفصل يقع به المطبخ والحمام ،
وعنبر لنوم المراسلات وحمام آخر لهم .

هذا عن الميس من حيث البناء . . أما من حيث السكان
فإنى أجد من العسير على وصفهم . . فإن نوادرهم تتكأ كأ

على ذهني ، فلا أدري بأيهم أبدأ ، وقد كانوا كلهم أناساً
ظرفاء . . . عزازاً لطافاً . . . وكان لكل منهم شخصيته المرحّة
المستقلة .

إنى لأجد الذهن يعود بي القهقري فيقطع السنين
الطوال في لمح البرق ، وأجد نفسي مرتدياً الحذاء الطويل
وينطلقون الركوب والقميص ، وقد عدت إلى الميس بعد
المغرب عقب تمام المساء والعتاف . . . وقد أحسست بساقى
قد كلتا من فرط السير واللف في الشككات ، وأدخل إلى
الصالون لأرتقى على أقرب مقعد . . . وليس لي من أمنية
سوى أن أنزع الحذاء الطويل لحظة لأريح قدمي .

والتفت حولي فأفاجأ بالبارودي — أحد زملائي —
وقد اضطجع في أحد المقاعد ومدد ساقيه وهو ما زال
برداء الطاير وبالحذاء .

وتصيبي الدهشة من منظره . . . ترى ماذا أجبره على
البقاء إلى هذه اللحظة . . . سجين القدمين معذب الجسد ؟
ولم لم يلق عنه ملابسه وينطلق بعيداً إلى الخارج ليروح
عن نفسه ١٩

ولا تمضي فترة قصيرة حتى أعرف العلة وأستجلي
السبب .

إنه اللموني . . ولا أحد سواه .

أجل ! إن اللموني هو سبب بقاء أنور البارودي بهذا
المنظر حتى الآن . . فلقد كان يناقشه الحساب . . وحساب
اللموني — لو تعلمون — عسير .

ولكنكم لم تعرفوا اللموني بعد . . فيجب على أن أقدمه
لكم أولاً .

اللموني هو حكمدار الميس وقائد الطباخين والسفرجية
والمراسلات . هو الذي يتولى عملية شراء لوازم المطبخ من
السوق . . وهو المسئول أمام ضابط الميس عن تقديم
حساب الميس .

ولا أظنكم تجهلون مبلغ مهارة الطباخين في المغالطة في
الحساب . وكما كان اللموني قائد الطباخين . . كان — بحكم
المهنة — شيخ المغالطين .

لننظر إلى البارودي — وقد كان وقتذاك ضابط
الميس — وقد اعتدل في مجلسه وأوقف اللموني أمامه
يحاسبه حساب الملكين .

— ها . . وجبت إليه كان ؟

— ست ارطال لبن وأقتين سكر .

— عشان إليه دول ؟

— عشان الرز أبو لبن .

— ست ارطال لبن وأقتين سكر عشان ست اطباق رز

بلبن ؟ يعنى قصدك تقول إيه ؟ قصدك تقول إن كل طبق
خد رطل لبن ؟

— مضبوط .

— مضبوط إزاي بقى ؟ ١ . طب أنا حاجيب رطل لبن

وأفرغه فى الأطباق وأشوف يملا طبق واحد بس زى
ما بتقول والا لا .

ويبدأ البارودى تجربته . . فإذا بالرطل يملا أربعة
أطباق . وينظر إلى اللموني وهو يحاول أن يكتم ثورته
ويصيح به :

— إيه رأيك ؟

وبمنتهى الهدوء يجيب اللموني :

— أصل اللبن بيتبخر ، يقوم يخس .

— طيب بلاش كده . . تعرف الطبق الواحد على

حسابك يكلف كام ؟

— كام ؟

— خمسة صاغ . . الطبق اللي بناكاه عند استرا أو أسديه

بتلاته تعريفه . . بتعمله إنت بخمسه صاغ ، إيه رأيك بقى ؟

— وهوّا دازی بتاع اُسديه؟

— لا العفو . . زيه ازای؟ مش ممکن . . على العموم

يا لمونى من هنا ورايح ما تعملش رز بلبن اُبدآ . مش
ضرورى ناكل رز بلبن . . هات حلو اى حاجه . . هات
بلح اُمهات . .

— كل يوم؟

— ايوه كل يوم .

وينتهى حساب الرز اُبولبن ، ويبدأ حساب آخر لا يقطعه
سوى دخول الشاذلى مصفقاً بيديه منشداً بأعلى صوته :
« يا تلتमित مرحبا وسلامات يا خلى . . يالى تسكيد العواذل
وانت داخل لى » .

والشاذلى كان فى ذلك الوقت عاشقاً . . وقد كان هذا
العشق هو سر بقاءه فى الميس . فقد كان يقضى جل وقته
يهز رأسه ويترنم بأناشيد الهوى .

ويبصر الشاذلى اللمونى وهو يهيم بالانصراف من أمام
البارودى فينادى عليه :

— لمونى الكلب . . تقدر تقول لى اللحمه الى جبتها

النهارده دى جبتها منين ؟

— من الجزار .

— مش ممكن ، لازم جبتها من العتقى .. تعرف أنا متيها
لى إنك انت لما بتروح تشتري لنا الأكل بتعمل إيه ؟ تروح
للخضري وتقول له : عندك كوسة شاينخه ؟ يقوم يقول لك
لا . تقول له : ولا بطاطس معفنه ؟ يقول لك برضه لا ..
تقول له : طيب عندك قوطه حمضانه ؟ يقول لك عندي
شويه . تقول : طيب لمهم لى .. وبعدين تروح عندالجزار
تسأله على لحمه بايته والا منتنه .. وتفضل تلم الزباله اللى فى
السوق وتيجى تطبخها لنا .

— إزاي بقى يافندم ؟

— أهو كده .. اليوم اللى ماتطبخش فيه يبقى لازم
ما فيش فى السوق حاجه وحشه .

وبعد لحظة يدخل علام ، فينظر إلى اللمونى أيضاً
ويصيح به :

— لمونى .. من بكره تطلع طابور ركوب .

وهنا ينهار اللمونى .. فقد كانت تلك أكبر كارثة يمكن
أن يصاب بها .. فقد كان بجسده الأبيض السمين المررب
لا يصلح قط للركوب . وكان يعتبر طابور الركوب العذاب
الأكبر .

وينصرف اللمونى ، وتتوافد الشلة الواحد بعد الآخر

حتى يكتمل العقد وتنطلق الضحكات الخالصة من صدور
لا تحمل الهم ولا تعرف الحزن .

وتبدأ الثلة في التفكير في العشاء ، فيصبح علام بعثمان

شديد :

— وله يا شديد !

— عاين إيه يا علام ؟

— تشاركني في أقة عنب ؟

— عنب إيه يا عم .

— طيب تشاركني في بطيخه ؟

— لا يا عم أنا ما احبش البطيخ . . أنا حا اتعشى عسل
وطحينه .

— إيه ؟! وبعدين لما أجيب البطيخه تبقى تقول لى

اديني شقة ؟

— يا أخى بلاش دوشه . . إبعد عنى . . بطيخ إيه . .

وعنب إيه .

ويشتري علام البطيخة . . ولا يكاد يشقها حتى يهجم

عليه شديد خاطفاً قلبها . . فيمسك علام البطيخة ويلبسها

رأس شديد .

ولكن مالى قد استرسلت فى الدردشة وقص الذكريات
ورسم «الباك جراندى» حتى كدت أنسى القصة نفسها ؟
هل يسمح لى القارىء بأن أسترسل به فى مجرد حديث
ويغفر لى هذه المرة ألا أعطيه قصة ؟
لا أظن . . فقد ابتليت بأنى قاص ، والقارىء لن
ينتظر منى ولن يستسيغ سوى قصة .
حسن . . لنبدأ القصة إذن . . وعوضنا على الله .



تلك كانت ثلة ضباط الفرسان الذين يقطنون الميس
وقتذاك . . أنا والشاذلى والخضيرى وسعد الدين وعلام
وسليمان وشديد وعبد العزيز مصطفى والبارودى . . ثلة
مرحة ضاحكة . . نضحك من كل شيء وعلى كل شيء . .
لم يكن يشغل بالنسبة وقتذاك سوى شيء واحد :
هو الحمام المبتل ١١

كنّا نخرج مبكرين إلى طابور الركوب ، فإذا ما عدنا
للفطور بعد الطابور ودخلنا إلى الحمام لكي نغسل أيدينا أو
وجوهنا وجدنا أرض الحمام مغطاة بالمياه ، وأن هناك من
استعمل الدش .
ويرفع علام عقيرته بالصياح :

— يا لمونى .

وياقى اللمونى مرتجفاً ، فيصيح به علام :

— إيه الميه دى ؟

ويهز اللمونى رأسه فى دهشة ولا ينبس ببنت شفة .

ويستمر علام فى صياحه :

— فيه حد يستحمى هنا واحنا فى الطابور ؟

— لا يافندم .

— لا إزاي ؟ . . مش ممكن ، لازم يكون فيه حد

استعمل الدش .

ويقسم اللمونى أيماناً مغلظة بأنه لم يستعمله ولم ير أحداً

يستعمله .

وأخذت الواقعة تتكرر كل يوم . . نعود من الطابور

فنجد أن الحمام مبتل وأن المياه قد أغرقت أرضه .

من ذا الذى يستحم يا ترى ؟

وأقسم علام أن يضبط المستحم فى حمام الضباط متلبساً

بجريمته ، وأن يريه نجوم الظهر .

ومرت الأيام ونحن نحاول أن نجد الفاعل عبثاً ، حتى

كان ذات يوم حضر أحد أقارب علام لزيارته وأظنه خاله .

ورجانا علام أن نحترم أنفسنا أمام الرجل . . وأن

نتمسك بأهداب الآداب ونكف عن التهريج ، حتى نظهر أمامه بمظهر محترم .

ولم يكن طلب علام بالمطلب اليسير ، فقد كان من أصعب الأمور أن نتكف الجد وأن نكف عن المزاح ، ولكننا - مراعاة لخاطر علام وقريبه المحترم - صممنا على أن نكلف أنفسنا ما لا طاقة لها به ، وأن نتحلى بالجد والآداب .

وكان قريب علام قد حضر من أوربا ، وقد نوى أن يبيت ليلته مع علام حتى يسافر في غده إلى الإسكندرية . وقلنا لأنفسنا : لا بأس .. ليلة واحدة من الأدب يمكن احتمالها في سبيل علام ، وفي سبيل أن يأخذ الأغراب عنا فكرة حسنة .

وهكذا تذرنا بالآداب والتزمنا الجد ، وجلسنا إلى العشاء في سكون وخشية دون أن ينبو عنا لفظ جارح ، أو كلمة خارجة ، ودون أن نخاطب بعضنا بعضاً إلا بالرتب والألقاب .

ولست أشك في أننا قد نجحنا في محاولتنا أيما نجاح ، وأن الرجل أعجب بنا أيما إعجاب ، وأننا رفعنا رأس الفرسان عالياً في نظر الرجل .

وفي الصباح خرجنا كعادتنا إلى الطابور ، وعدنا كلنا إلى
الميس بعد الطابور إلا واحداً . هو الشاذلي . . فقد عاد قبلنا
وترك الطابور في منتصفه ، لأنه كان متعباً ، إذ كان على سفر
في الليلة السابقة .

أتسمحون لي بوضعة أسطر أصف فيها الشاذلي ؟
إنه إنسان يستحق الوصف . . إذ هو بطل الواقعة .
هل تسمحون ؟

سمحتم أم لم تسمحوا . . سأصفه وأجري على الله .
إن خير ما يوصف به الشاذلي هو أنه رأس وحنجرة
وهو يستعمل حنجرته أكثر من رأسه . . زعموا أنه كتب
له في تقريره السري ذات مرة أنه « ضابط لا يحتاج إلى
بروجي » ، وهو فعلاً لا يحتاج إلى بروجي . . لأنني أسمع
صوته أحياناً وهو يتكلم وأكون جالساً في مكتبي في
كوبرى القبة ، وأقوم لأبحث عنه فلا أجده ، ثم يتضح لي
في النهاية أنه يتكلم في مصر الجديدة ، مجرد كلام .

لا أظن أن به ما يوصف أكثر من هذا . اللهم إلا أنه
حاضر البديهة ، سريع النكسة حاضرها ، ويقولها ولو على
نفسه وذويه . . ويفضل أن يقولها ثم يعدم أو يسجن على
أن لا يقولها .

وهو مخلوق شديد الذكاء والوفاء ، باطنه خير بكثير من ظاهره ، والفضل في تشويه ظاهره له وحده فهو خير من يشنع بنفسه ولقد قلت له ذات مرة إن خير طريقة لتحسين سمعته هو قطع لسانه ، وهو يتلف إلى سماع الإشاعات وترويحها ويجيد المبالغة لغير ما سبب ولا فائدة .

عاد الشاذلى من الطابور ، واتجه أول ما اتجه إلى المطبخ ليسأل اللموني عما أعده من إفطار . . . والتهم في فمه « اللي فيه القسمه » على سبيل التذوق . . . وشم اللموني بما فيه القسمه أيضاً ، ثم اتجه بعد ذلك إلى الحمام .

ودفع باب الحمام فإذا به مغلق من الداخل .
ثم دفعه مرة ثانية .

جالك الموت يا تارك الصلاة ، والله وقعت واللى كان
كان ..

أجل ! لقد سمع الشاذلى بأذنيه صوت « الدش » وهو ينهمر .

أخيراً وقع المجرم ، وفي حالة تلبس .
شهر بأكمله وهو يستغفلنا جميعاً . . . ويتسلى إلى الحمام ليأخذ دشاً أثناء غيابنا في الطابور .
إنه أحد الطباخين أو أحد المراسلات .

وصاح الشاذلى وفى صوته رنة انتصار :

— افتح يا حيوان .

ولم يسمع أى رد . . بل استمر صوت « الدش »
ينهمر ، وقطرات الماء تطرق الأرض وجسم المستحم .
وعاد الشاذلى يصيح مهدداً :

— افتح بقول لك .

ولكن لم يجب أحد . . ولم يفتح الباب .
وتراجع الشاذلى عن الباب قليلاً . . وبكل قوته دفع
الباب بكتفه . . فانفتح . . واندفع هو إلى الحمام . . رافعاً
سوط الركوب بيده . . ليهوى به على الجانى . . ويؤدبه
تأديباً سريعاً .

تعالت الصيحات ، وتعالت الضربات :

— آى .

— آى يا ابن الكلب . . . أمال فالخ كل يوم تخش
تستحمى وتغرق الحمام .

— أنا أصلى . . .

— أصلك إيه ؟ أصلك حيوان .

— أنا . .

— انت إيه ؟



— أنا قريب علام .

— قريب مين ؟

— قريب علام .

— يا نهار إسود . . وإيه اللي جابك هنا .

وفي تلك اللحظة سمع الشاذلى صوت علام . . وأدرك
ماذا يمكن أن يحدث له من علام إذا عرف ما فعله بقريبه ،
فترك الحمام . . وانطلق يعدو فى الاتجاه الآخر . . هارباً
من الميس .

وخرج قريب علام من الحمام يصرخ ويتأوه ، ويسأل
علام لم لم يخبره أن الاستحمام عندهم جناية . . واندهش
علام ووقف يستمع إلى ما حدث ثم انطلق يعدو فى أعقاب
الشاذلى .

ويعلم الله ما فعله به .

ويعلم الله كذلك ماذا كان رأى قريب علام فيما بعد
العلاقة التى أخذها لمغامرته بالاستحمام .

أغلب الظن أنه كان يفضل المبيت على قارعة الطريق . .
فقد كان يصبح أكثر أمناً ١١